رحمة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بأمته وطلبه من ربه التخفيف في الشرائع

إعداد:

د. عائشة بنت فراج بن علي العقلا

الأستاذة المساعدة في قسم الكتاب والسنة

في كلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، جعل الرحمة وصفًا من أوصاف كماله فهو الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هدى للعالمين ورحمة للناس أجمعين، فكان أعلم الخلق بالحق وأرحم الخلق بالخلق، تخلق بالرحمة معلمًا وداعيا، وتحلى بها مربيًا وراعيا، فكان الرحمة المهداة والنعمة المسداة، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد..

فإن المطلع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ليأخذ بمجامع قلبه ويأسر لبه ذلك الأنموذج الفريد الكامل الشامل لمكارم الأخلاق وخلال الخير من حياء وكرم وشجاعة ووفاء وحلم وصدق حديث، فما من خلق كريم هدى إليه القرآن إلا وقد تخلق به النبي صلى الله عليه وسلم فكان القرآن خلقه حقًا، كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت فقيل لها: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى قالت: «فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن»[1].

وقد امتدح الله عز وجل جميل خلقه فقال تعالى: (**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)**) [القلم: 4]، وكان من أبرز صفاته الكريمة وأخلاقه الحميدة خلق (الرحمة)؛ وهو الخلق الذي وصفه الله تعالى به في كتابه بقوله: (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (128)**) [التوبة: 128] فوصفه بأنه رحيم بالمؤمنين رؤوف بلغ منتهى الرحمة بهم، وقال له الحق تبارك وتعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107)**) [الأنبياء: 107].

وقد حفلت سنة النبي صلى الله عليه وسلم بالمواقف التي أظهرت كمال رحمته بالناس عامة وبأمته خاصة، كما بينت رحمته بأمته في طلبه التخفيف عنهم سواء في العبادات أو

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (746) كتاب صلاة المسافرين/ باب جامع صلاة الليل.

المعاملات أو الحدود أو الجنايات، وتلك المواقف المضيئة سوف تكون موضوع هذا البحث المندرج ضمن المحور الرابع من محاور مؤتمر الرحمة في الإسلام، وهو محور (رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمته وطلبه من ربه التخفيف في الشرائع)، وسأقتصر من ذلك على ما ورد بالسنة المشرفة.

أهداف البحث:

1. بيان ما كان يتمتع به النبي صلى الله عليه وسلم من الأخلاق العظيمة.

2. إثبات رسوخ خلق الرحمة في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كل من حاول تشويه الرسالة المحمدية.

3. ذكر الأحاديث والمواقف العملية لرحمة النبي صلى الله عليه وسلم في التخفيف عن الأمة في التكاليف.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث وذيلته بخاتمة.

المبحث الأول: اتصاف الرسول صلى الله عليه وسلم بخلق الرحمة، وخصائص أخلاقه مع أمته.

المطلب الأول: اتصاف الرسول صلى الله عليه وسلم بخلق الرحمة.

المطلب الثاني: خصائص أخلاقه صلى الله عليه وسلم مع أمته.

المبحث الثاني: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته بتخفيف التكاليف عنهم

المطلب الأول: السواك.

المطلب الثاني: في الصلاة.

المطلب الثالث: في الصيام.

المطلب الرابع: في الزكاة.

المطلب الخامس: في الحج.

المطلب السادس: في الأضحية.

المطلب السابع: في الجهاد.

المطلب الثامن: الكفارات.

المطلب التاسع: الحدود.

المبحث الثالث: رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته بسؤال ربه عز وجل التخفيف عنهم.

المطلب الأول: في قراءة القرآن.

المططلب الثاني: في الصلاة.

المطلب الثالث: في تخفيف العقوبة عنهم.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال النقاط التالية:

- استخراج النصوص المتعلقة بموضوع الرحمة وتخريجها.
- تحليل النصوص وبيان العلاقات فيما بينها واستنباط معالم الرحمة في سنته.
- التعريف بغريب الألفاظ والبلدان وذكر الفوائد المتعلقة بموضوع الدراسة.

هذا وأسأل الله تعالى العون والسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

المبحث الأول

اتصاف الرسول صلى الله عليه وسلم بخلق الرحمة

وخصائص أخلاقه مع أمته

المطلب الأول

اتصاف الرسول صلى الله عليه وسلم بخلق الرحمة

لما كان الإسلام هو الرسالة الإلهية الخاتمة، وكانت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور؛ اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون الرحمة شعار هذا الدين الخالد، وعنوان رسالة نبيه الخاتم صلى الله عليه وسلم؛ لتشرق شمس رسالته رحمة للخلق أجمعين كما قال تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(107))** (الأنبياء) وقال **رضى الله عنه (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ولَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)** [آل عمران: 159]. إن موضوع اتصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرحمة من المواضيع التي تصعب الإحاطة بها واستقصاؤها؛ لأن أفعاله وأقواله وتقريراته وحياته كلها منذ بعثه الله حتى وفاته صلى الله عليه وسلم رحمة للأمة وللعالم أجمع؛ إذ فطر السلام عليه على الرحمة العظيمة بالخلق حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كان محمد رحمة لجميع الناس: فمن آمن به وصدق به سعد، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الخسف والغرق"[1].

لهذا جاءت سيرته صلى الله عليه وسلم العطرة بكافة أحداثها وفصولها نورًا للأمة يضيء لها طريق الرحمة والرأفة في شأن الدعوة إلى الله تعالى وفي شتى شئون الحياة.

(1) أخرجه ابن جرير في ((تفسيره)) (18/ 552)، والطبراني في ((معجمه الكبير)) (12358). وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" (7/ 69): "فيه أيوب بن سويد وهو ضعيف جدا وقد وثقه ابن حبان بشروط فيمن يروى عنه، وقال: إنه كثير الخطأ، والمسعودي قد اختلط".

ولما قيل له: يا رسول الله ادع الله على المشركين: قال: "إني لم أبعث لعانًا إنما بعثت رحمة"[1]

قال القاري: «وإنما بعثت رحمة «أي للناس عامة وللمؤمنين خاصة، متخلقا بوصفي الرحمن الرحيم، ولقوله تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107))** [الأنبياء] أما للمؤمنين فظاهر، وأما للكافرين فلأن العذاب رفع عنهم في الدنيا بسببه، كما قال تعالى: **(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33))** [الأنفال: 33]، بل عذاب الاستئصال مرتفع عنهم ببركة وجوده إلى يوم القيامة، وقال الطيبي: «أي: إنما بعثت لأقرب الناس إلى الله، وإلى رحمته، وما بعثت لأبعدهم عنها، فاللعن مناف لحالي فكيف ألعن؟»[2].

ولهذا فإن من أسمائه صلى الله عليه وسلم التي سمي بها نفسه (نبي الرحمة) فعن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماءً فقال: "أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة"[3].

قال النووي: «وأما (نبي التوبة، ونبي الرحمة)، ونبي المرحمة فمعناها متقارب، ومقصودها أنه صلى الله عليه وسلم جاء بالتوبة وبالتراحم قال الله تعالى: **(رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)** [الفتح: 29]، **(وتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ)** [البلد: 17][4]. ووصف صلى الله عليه وسلم نفسه فقال: "يا أيها الناس! إنما أنا لكم رحمة مهداة"[5].

---

(2) أخرجه مسلم في ((صحيحه)) (2599) كتاب البر والصلة والآداب باب/ النهي عن لعن الدواب.
(3) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (9/ 3714).
(4) صحيح مسلم (2355) كتاب الفضائل/ باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم.
(1) شرح النووي لصحيح مسلم (15/ 86).
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (2981) وسنده صحيح، انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (490) وصحيح الجامع الصغير (4110).

قال القاري: «(مهداة) بضم الميم أي: ما أنا إلا رحمة للعالمين أهداها الله إليهم، فمن قبل هديته أفلح وظفر، ومن لم يقبل خاب وخسر، كقوله تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107)**) [الأنبياء: 107]».

ولا شك أن من قبل هذه الهداية واهتدى بنورها فله خصوصًا أضعاف ما لغيره من هذه الرحمة.

وقال الحسين بن الفضيل: لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه قال: (**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (128)**) [التوبة: 128]، وقال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ**) [الحج: 65][1].

وأخبر الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (128)**) [التوبة: 128] أي شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم ولهذا كان حقه مقدمًا على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به وتعظيمه وتعزيزه وتوقيره[2].

قال ابن عاشور: (**وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ**) [التوبة: 61] عطف جملة ورحمة على جملتي يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين لأن كونه رحمة للذين يؤمنون بعد علمه بنفاقهم أثر لإغضائه عن إجرامهم ولإمهالهم حتى يتمكن من الإيمان من وفقه الله للإيمان منهم، ولو آخذهم بحالهم دون مهل لكان من سبق السيف العذل، فالمراد من الإيمان في قوله: آمنوا الإيمان بالفعل، لا التظاهر بالإيمان كما فسر به المفسرون، يعنون بالمؤمنين المتظاهرين بالإيمان المبطنين للكفر، وهم المنافقون[3]».

(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (8/ 302).
(4) تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي (1/ 356).
(5) التحرير والتنوير (10/ 243).

المطلب الثاني

خصائص أخلاقه مع أمته

لما كان الإسلام دين الأخلاق الحميدة؛ كان من أعظم مقاصد رسالة الإسلام إتمام مكارم الأخلاق، وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"[1]، ولهذا أدبه ربه فأحسن تأديبه؛ فكان بنفسه مثالًا حيًا لتطبيق شرائع الإسلام وأخلاقه الكاملة، وكان أحسن الناس خلقًا إذ تخلق بالقرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها مستشهدة بقول الله عز وجلى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)**﴾ [القلم: 4][2] فوصفه الباري جل وعز بعظمة الخلق؛ مؤكداً ذلك بالأقسام في صدر السورة؛ ليبين أن اتصافه بمكارم الأخلاق والخصال جبلة طبع عليها ولم يكن ذلك النبل منه صلى الله عليه وسلم تصنعًا أو تكلفًا، بل هو فطرة فطره الله عليها.

قال القرطبي: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)**﴾ [القلم: 4] قيل: هو رفقه بأمته وإكرامه إياهم[3]».

ومن الأخلاق العظيمة التي تحلى بها صلى الله عليه وسلم:

- حرصه على نجاة أمته وشفقته عليها يوم القيامة حيث قال: «لكل نبي دعوة دعاها لأمته وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».[4]

---

(1) مسند أحمد (14/ 513) حديث (8952) وسنده صحيح، انظر: حاشية السندي على مسند أحمد (6/ 159)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (45).

(2) تقدم تخريج أثر عائشة رضي الله عنها (ص: 2).

(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (18/ 227).

(4) أخرجه البخاري (6304) كتاب الدعوات/ باب لكل نبي دعوة مستجابة، ومسلم (198) كتاب الإيمان/ اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته.

● حرصه على التيسير على أمته والتخفيف عنهم؛ فقد أوصى معاذ ابن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما حيث بعثهما إلى اليمن بالتيسير فقال: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا»[1].

● رفقه صلى الله عليه وسلم ولين جانبه: فقد كان رفيقًا يحب الرفق في الأمر كله ورغب في الرفق في الأمور كلها بقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شأنه»[2].

● حلمه ولينه صلى الله عليه وسلم فلم يغضب لنفسه قط، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء يؤتى إليه حتى ينتهك من حرمات الله فينتقم لله"[3].

● أناته وتثبته صلى الله عليه وسلم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأنى في شأنه كله، ومن ذلك أنه كان لا يغير على قوم حتى يتبين له كفرهم، فعن أنس رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قومًا لم يغر حتى يصبح فإن سمع أذانًا أمسك وإن لم يسمع أذانًا أغار بعد ما يصبح"[4].

● كان من دعائه صلى الله عليه وسلم: "واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت"[5].

---

(5) أخرجه البخاري (69) كتاب العلم/ باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم، ومسلم (1732) كتاب الجهاد والسير/ باب في الأمر بالتيسير.

(6) صحيح مسلم (2594) كتاب البر والصلة/ باب فضل الرفق.

(7) صحيح البخاري (6288) كتاب الحدود/ باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله.

(1) أخرجه البخاري (2943) كتاب الجهاد والسير/ باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة، وألا يتخذ بعضهم بعضاً أربابًا.

(2) صحيح مسلم (771) كتاب صلاة المسافرين/ باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه بالليل.

يتجلى من عرض بعض خصاله السامية صلى الله عليه وسلم طبيعة فريدة جُبل عليها ولا شك أن معظم ما اتصف به صلى الله عليه وسلم له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالخلق الأسمى، الذي فطر عليه، وهو خلق الرحمة، فإيثاره ورفقه وحلمه ولينه وأناته وحرصه على التيسير والتخفيف، له ارتباط وثيق بالرحمة، التي دعا صلى الله عليه وسلم إلى التخلق بها فقال: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء"[1]، وحذر من تركها فقال صلى الله عليه وسلم: "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل"[2]، وأخبر عن شقاء من نزعت منه، فقال: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي»[3]، قال المباركفوري: قوله: (لا تنزع الرحمة) بصيغة المجهول أي لا تسلب الشفقة على خلق الله، ومنهم نفسه التي هي أولى بالشفقة والمرحمة عليها من غيرها، بل فائدة شفقته على غيره راجعة إليها لقوله تعالى: (**إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ**) [الإسراء: 7] (إلا من شقي) قال الطيبي: لأن الرحمة في الخلق رقة القلب، والرقة في القلب علامة الإيمان، فمن لا رقة له لا إيمان له، ومن لا إيمان له شقي، فمن لا يرزق الرقة شقي[4].

(3) أخرجه أبو داود (4941)، وحسنه الألباني في ((صحيح الترغيب والترهيب)) (2256) وانظر: السلسلة الصحيحة (925).

(4) أخرجه البخاري (6013) كتاب الأدب/ باب رحمة الناس والبهائم، ومسلم (2319) الفضائل/ باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وفضل ذلك.

(5) أخرجه أبو داود (4942) والترمذي (1923)، وحسنه الألباني. صحيح الجامع الصغير (7467).

(6) تحفة الأحوذي، للمباركفوري (6/ 42).

المبحث الثاني

رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته بتخفيف التكاليف عنهم

لقد كان لرحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمته وشفقته عليهم آثارها المباركة في التكاليف الشرعية، إذ حرص صلى الله عليه وسلم على التخفيف عنهم ورفع ما يشق عليهم تيسيرا عليهم ورحمة بهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله عز وجل (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (128)**) [التوبة: 128]، وقد بلغ من رحمته صلى الله عليه وسلم بهم أن كان يخشى العقوبة عليهم إن هم فرطوا في الالتزام بما شرع الله لهم، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقرأ علي القرآن" فقلت: يارسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإني أحب أن أسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت (**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا (41)**) [النساء: 41] قال: أمسك فإذا عيناه تذرفان»[1]. وبكاؤه صلى الله عليه وسلم هذا هو من رحمته بهم، فإن الحجة قد قامت عليهم ولم يبق لهم عذر ولا مفر من عقاب الله إذا أشهد عليهم رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن حجر: بكى رحمة لأمته لأنه علم أنه لابد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيمًا فقد يفضي إلى تعذيبهم والله أعلم[2].

وأما ابن بطال فذهب إلى أن سبب بكاءه صلى الله عليه وسلم أنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته، وهذا أمر يحق له طول البكاء[3].

(1) أخرجه البخاري (4582) كتاب التفسير/ باب فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد.
(2) فتح الباري (9/ 124).
(3) انظر: شرح ابن بطال (10/ 281).

ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: **(إن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ)** [المائدة: 118] رفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي.. وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم فاسأله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم، فقال الله:: ياجبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك"[1].

وهذا يبين كمال شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته واعتنائه بمصالحهم، واهتمامه بأمرهم[2].

وبلغ من شفقته صلى الله عليه وسلم أنه كان يمنع أصحابه من الإكثار في المسألة لئلا يشدد الله عليهم، فإن الإكثار من المسائل من أسباب التشديد على الأمة، كما قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وإن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ القُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا واللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (101))** [المائدة: 101]. وكل من له عناية بالوقوف على حكم التشريع ومقاصده لا يخفى عليه أن من أعظم تلك الحكم والمقاصد التخفيف عن العباد ورفع الحرج عنهم، يتجلى هذا في كل أبواب الفقه وفروعه بابًا بابًا وفرعًا فرعًا في العبادات وفي المعاملات وفي الحدود وفي الجنايات وفي غيرها.

وفي هذا المبحث سأذكر طرفًا من تلك الأحكام تكون شاهدًا على المقصود ودليلًا على ما سواها:

(4) أخرجه مسلم في صحيحه (202) كتاب الإيمان/ باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته.
(5) شرح النووي لصحيح مسلم (3/ 66).

المطلب الأول

السواك

حرص النبي صلى الله عليه وسلم على السواك في جميع أحواله وخاصة أوقات الصلوات؛ لكون الصلاة مناجاة للرب عز وجل فاقتضى أن تكون على حال كمال ونظافة إظهاراً لشرف العبادة وهي الصلاة، ومع ذلك لم يفرض صلى الله عليه وسلم على أمته السواك خشية الاشقاق عليهم[1]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة"[2].

وفي لفظ عند أحمد وغيره مرفوعًا: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع الوضوء ولأخرت العشاء إلى ثلث الليل أو شطر الليل»[3].

وهذا يدل على أن الجرح والمشقة مرفوعان عن هذه الأمة كما قال تعالى: **(وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)** [الحج: 78] قاله ابن حجر[4].

والمشقة هي: ما يشق على النفس احتماله فكأن النفس انشقت لما نالها من صعوبة ذلك الشيء[5] وقال في النهاية: (لولا أن أشق) أي لولا أن أثقل عليهم بالمشقة وهي الشدة[6].

لقد كانت شفقته صلى الله عليه وسلم العظيمة بأمته هي الباعث له على دفع مشاق التكليف عنهم، ومنها عدم إيجاب السواك للصلاة سواء كانت فرضًا أم نافلة.

---

(1) انظر: التوضيح شرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (7/ 422).
(2) أخرجه البخاري (887) كتاب الجمعة/ باب السواك يوم الجمعة، ومسلم (252) كتاب الطهارة/ باب السواك.
(3) أخرجه أحمد (7412)، (12/ 374) وسنده صحيح.
(4) فتح الباري، لابن حجر (2/ 483).
(5) فيض القدير، للمناوي (5/ 339).
(6) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (2/ 491).

المطلب الثاني

في الصلاة

لقد كانت الصلاة قرة عين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحب الأعمال إليه، فعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة"[1]، وكانت راحته فيها، يهرع إليها إذا حزبه أمر[2]، ومع ذلك حرص على أن يخفف على الناس في كل ما يتعلق بالصلاة، سواء في أوقاتها أو في طولها أو في عددها، كما خشى صلى الله عليه وسلم أن يفرض من نوافلها ما لم يفرض، وفيما يلي أمثلة على تخفيفه في باب الصلاة:

أ. التخفيف في وقت صلاة العشاء وعدم تأخيرها

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «أعتم[3] النبي صلى الله عليه وسلم بالعشاء، فخرج عمر فقال: الصلاة يا رسول الله، رقد النساء والصبيان، فخرج ورأسه يقطر يقول: «لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالصلاة هذه الساعة»[4] وزاد مسلم «إنه لوقتها لولا أن أشق على أمتي»[5].

---

(7) أخرجه النسائي في ((سننه)) (3949) كتاب عشرة النساء/ باب حب النساء، وأحمد في ((مسنده)) (19/ 305)، (12294) وسنده حسن.

(8) روى أحمد بسنده عن حذيفة (23299)، (38/ 330) "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى"، وأخرجه أبو داود (1319)، وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" (8832).

(1) أي دخل في وقت العتمة وهي وقت صلاة العشاء، واعتم إذا مر قطعة من الليل. انظر: النهاية في غريب الحديث (3/ 181)، التعريفات الفقهية، لمحمد عميم الإحسان المجددي (143)، لسان العرب لابن منظور (9/ 41) مادة: (عتم).

(2) أخرجه البخاري في ((صحيحه)) (571) مواقيت الصلاة/ باب النوم قبل العشاء لمن غلب، (7239) باب ما يجوز من اللو، ومسلم (638) كتاب الصلاة/ باب وقت العشاء وتأخيرها.

(3) صحيح مسلم (1009).

وفي رواية عند أبي داود النسائي: «ولولا ضعف وسقم السقيم وحاجة ذي الحاجة لأخرت هذه الصلاة إلى شطر الليل»[1].

وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يراعي حالهم لمشقة التأخير عليهم إلى وقتها الأفضل.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إنه لوقتها لولا أن أشق على أمتي) معناه: إنه لوقتها المختار أو الأفضل، ففيه تفضيل تأخيرها، وأن الغالب كان تقديمها، وإنما قدمها للمشقة في تأخيرها، وقد نبه على تفضيل التأخير بهذا اللفظ، وصرح بأن ترك التأخير إنما هو للمشقة، ومعناه– والله أعلم– أنه خشى أن يواظبوا عليه فيفرض عليهم، ويتوهموا إيجابه؛ فلهذا تركه كما ترك صلاة التراويح، وعلل تركها بخشية افتراضها والعجز عنها.[2]

ب. امتناعه عن الخروج لصلاة التراويح في رمضان:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ذات ليلة في المسجد فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال: «قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم»[3].

(4) أخرجه أبو داود (422) كتاب الصلاة/ باب وقت العشاء الآخرة، والنسائي (537) كتاب المواقيت/ باب آخر وقت العشاء.

(5) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (5/ 118).

(6) أخرجه البخاري (1129) كتاب التهجد/ باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل، ومسلم (761) صلاة المسافرين/ الترغيب في قيام رمضان.

قال الحليمي: والمعنى أن يفرض عليكم، فلا ترعوه حق رعايته فتصيروا في استيجاب الذم أسوة من قبلكم. وهذا كله رأفة ورحمة صلى الله عليه وسلم، وجزاه عنا أفضل ما جازى رسولًا ونبيًا عن أمته[1].

ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم[2].

فترك صلى الله عليه وسلم الخروج للناس لصلاة التراويح خشية أن تفرض عليهم مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل كله حتى تتفطر قدماه، وما ذلك إلا رحمة منه بأمته وشفقة عليهم صلى الله عليه وسلم.

ج. تخفيفه الصلاة بالناس وغضبه من إطالة الصلاة والاشقاق على المصلين:

وقد دل على ذلك الأحاديث التالية:

1. عن جابر بن عبد الله قال: أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل فوافق معاذًا يصلي فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل، وبلغه أن معاذًا نال منه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه معاذًا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا معاذ أفتان أنت أو أفاتن ثلاث مرار، فلولا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى؛ فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة"[3].

2. عن أبي مسعود أن رجلًا قال: والله يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في موعظة أشد غضبًا منه

(7) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (4/ 68).

(1) أخرجه البخاري (1128) الباب السابق، ومسلم (718) كتاب صلاة المسافرين/ باب استحباب صلاة الضحى.

(2) أخرجه البخاري (705) كتاب الأذان/ من شكا من إمامه إذا طول، ومسلم (465) كتاب الصلاة/ القراءة في العشاء.

يومئذ، ثم قال: إن منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة"[1].

3. عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء"[2].

4. عن أبي قتادة الأنصاري وأنس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه"[3].

وهذه الأحاديث تدل أن أئمة الجماعة يلزمهم التخفيف لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم[4]، وأن مراعاة أصحاب الأعذار وأحوال الناس كان منهجًا له صلوات الله وسلامه عليه وذلك لئلا يلحق المشقة بأمته.

وأما طلبه من الله عز وجل التخفيف في فرض الصلاة فسأذكره في المبحث الثالث.

---

(3) أخرجه البخاري (702) كتاب الأذان/ باب تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع، ومسلم (713) أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام.

(4) أخرجه البخاري (703) الأذان/ باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء، ومسلم (467) الصلاة/ باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام.

(5) أخرجه البخاري (707) الأذان/ باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ومسلم (470) الصلاة/ باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام.

(1) انظر: التوضيح، لابن الملقن (6/ 565).

المطلب الثالث

في الصيام

وتتجلى لنا رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في باب الصيام في الأمور التالية:

أ. النهي عن الوصال:

الوصال هو: أن يصل صيام أيام متعددة دون إفطار في ما بينها[1]، وقد نص الفقهاء على كراهته[2].

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم عن الوصال رفعًا للحرج والمشقة ولطفًا ورحمة بهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال، فقال رجل من المسلمين: فإنك يا رسول الله تواصل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأيكم مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا ثم يومًا ثم رأوا الهلال، فقال: لو تأخر الهلال لزدتكم، كالمنكل[3] لهم حين أبوا أن ينتهوا»[4].

وقد صرحت عائشة رضي الله عنها بالعلة التي نهى صلى الله عليه وسلم من أجلها عن الوصال وهي الرحمة بأمته والشفقة عليهم لما يخافه عليهم من الضعف ويريده بهم من الشفقة،

(2) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري (4/ 222)، لسان العرب، لابن منظور (11/ 729) مادة: (وصل).

(3) انظر: المغني لابن قدامة (3/ 175)، المجموع للنووي (6/ 356)، مواهب الجليل للحطاب (2/ 399)، حاشية ابن عابدين (2/ 376).

(4) أي عقوبة لهم، والتنكيل: العقوبة التي تنكل الناس عن فعل جعلت له جزاء، وقد نكل به تنكيلا ونكل به إذا جعله عبرة لغيره.

انظر: النهاية في غريب الحديث (5/ 116) مادة: (نكل)، عمدة القاري، للعيني (11/ 74).

(5) أخرجه البخاري (1964) كتاب الصيام/ باب الوصال.

فقالت: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك تواصل، قال: إني لست كهيئتكم إني يطعمني ربي ويسقين"[1]. ص

قال البخاري: نهى عن الوصال رحمة لهم وإبقاء عليهم وما يكره من التعمق[2].

ب. الأمر بتعجيل الإفطار:

حث النبي صلى الله عليه وسلم على تعجيل الفطر رحمة بالصائمين، ولئلا تطول مدة الصيام وتتجاوز غروب الشمس، فيشق عليهم الصيام، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر"[3].

ومعنى الحديث لا يزال أمر الأمة منتظمًا وهم بخير ما داموا محافظين على هذه السنة، وإذا أخروه كان ذلك علامة على فساد يقعون فيه[4].

قال المهلب: والحكمة في ذلك أن لا يزاد في النهار من الليل، ولأنه أرفق بالصائم وأقوى له على العبادة[5].

ج. التأكيد على السحور والحث عليه:

امتدح النبي صلى الله عليه وسلم السحور قال: إنه بركة، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تسحروا فإن في السحور بركة"[6].

(6) أخرجه البخاري (1828) كتاب الصيام/ باب الوصال، ومسلم (1850) الباب السابق.
(7) صحيح البخاري (ص: 387) كتاب الصيام/ باب الوصال.
(8) أخرجه البخاري (1957) كتاب الصيام/ باب تعجيل الافطار، ومسلم (1095) الصيام/ باب فضل السحور، وتأكيد استحبابه.
(1) شرح صحيح مسلم للنووي (7/ 181).
(2) انظر: شرح ابن بطال لصحيح البخاري (4/ 104)، فتح الباري (4/ 253).
(3) أخرجه البخاري (1923) كتاب الصيام/ باب بركة السحور من غير إيجاب، ومسلم (1835) كتاب الصيام/ فضل السحور.

وكون السحور أنه بركة؛ لأنه يقوي على الصوم وينشط له ويخفف المشقة فيه[1].

بل كان صلى الله عليه وسلم يأمرهم بتأخير السحور ليعينهم ذلك على الصيام، فعن أبي عطية قلت لعائشة: فينا رجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما يعجل الإفطار ويؤخر السحور والآخر يؤخر الإفطار ويعجل السحور، قالت: أيهما الذي يعجل الإفطار ويؤخر السحور؟ قلت: عبد الله بن مسعود، قالت: هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع[2].

قال ابن أبي جمرة: كان صلى الله عليه وسلم ينظر ما هو الأرفق بأمته فيفعله؛ لأنه لو لم يتسحر لاتبعوه فيشق على بعضهم ولو تسحر في جوف الليل؛ لشق أيضا على بعضهم ممن يغلب عليه النوم فقد يفضي إلى ترك الصبح أو يحتاج إلى المجاهدة بالسهر، وفيه تقوية على الصيام لعموم الاحتياج إلى الطعام ولو ترك لشق على بعضهم الصيام[3].

د. العفو عن الأكل والشرب ناسيًا:

لما كان النسيان مما يعتري الإنسان ولا يمكنه التحرز منه؛ تجاوز الشارع عما يفعله المكلف ناسيًا، فعفا النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل الصائم وشربه ناسيًا، بل جعله إطعامًا وسقيا من الله عز وجل رحمة ورأفة وتيسيرًا على الصائم الناسي[4].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أكل ناسيًا وهو صائم فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه"[1].

---

(4) انظر: فتح الباري (4/ 179).

(5) أخرجه مسلم (1099) كتاب الصيام/ فضل السحور، والنسائي واللفظ له (2129).

(6) فتح الباري (4/ 177)، وانظر: عمدة القاري، للعيني (10/ 299).

(7) والراجح أن من نسى وهو صائم فأكل وشرب فصومه صحيح ولا قضاء عليه، وخالف في ذلك المالكية فقالوا يتم صومه وألزموه بالقضاء. انظر: المدونة (1/ 266)، الاستذكار (10/ 186)، المغني لابن قدامة (3/ 131)، المجموع للنووي (6/ 323).

قال الطيبي: «إنما للحصر، أي ما أطعمه أحد ولا سقاه إلا الله، فدل على أن هذا النسيان من الله تعالى ومن لطفه في حق عباده تيسيرًا عليهم ودفعًا للحرج»[2].

قال ابن حجر: «في الحديث لطف الله بعباده والتيسير عليهم ورفع المشقة والحرج عنهم»[3].

هـ. النهي عن صوم الدهر:

نهى النبي صلى الله عليه وسلم أمته– وهو الرحيم بهم– عن صوم الدهر رفقًا بهم وإبقاء عليهم، وبالغ في النهي عنه فجعل صيامه وعدمه سواء، فعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا صام من صام الدهر"[4].

وفي رواية مسلم: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عبد الله بن عمرو بلغني أنك تصوم النهار وتقوم الليل فلا تفعل؛ فإن لجسدك عليك حظًا ولعينك عليك حظًا وإن لزوجك عليك حظًا، صم وأفطر، صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر، قلت: يا رسول الله إن بي قوة، قال: فصم صوم داود عليه السلام صم يوماً وأفطر يومًا، فكان يقول: يا ليتني أخذت بالرخصة"[5]. قال النووي: «فيه بيان رفق رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمته، وشفقته عليهم، وإرشادهم إلى مصالحهم، وحثهم على ما يطيقون الدوام عليه، ونهيهم عن التعمق والإكثار من العبادات التي يخاف عليهم الملل بسببها أو تركها أو ترك بعضها، وقد بين ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: (عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل

(8) أخرجه البخاري (1933) الصيام/ الصائم إذا أكل أو شرب ناسيا، ومسلم (1155) الصيام/ أكل الصائم وشربه.
(1) انظر: عون المعبود، للعظيم أبادي (7/ 23).
(2) فتح الباري (4/ 201).
(3) أخرجه البخاري مطولا (1979) كتاب الصيام/ باب صوم داود، ومسلم (1159) كتاب الصيام/ النهي عن صوم الدهر.
(4) أخرجه مسلم (1159) كتاب الصيام/ النهي عن صوم الدهر.

حتى تملوا)[1]، وبقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الباب: (لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل)[2]، وفي الحديث الآخر: (أحب العمل إليه ما دوام صاحبه عليه)[3]، وقد ذم الله تعالى قومًا أكثروا العبادة ثم فرطوا فيها فقال تعالى: **(وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا)** [الحديد: 27].

وفي هذه الروايات المذكورة في الباب النهي عن صيام الدهر[4].

وحينما أصر عبد الله بن عمرو على صيام الدهر لم يتركه وما أراد بل نهاه عن ذلك رحمة به وتخفيفًا عليه، فقال عبد الله بن عمرو: أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يقول لأقومن الليل ولأصومن النهار ما عشت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: آنت الذي تقول ذلك؟ فقلت له: قد قلته يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر ونم وقم وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر، قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، قال: صم يومًا وأفطر يومين، قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله، قال: صم يومًا وأفطر يومًا وذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام، قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، قال رسول الله: صلى الله عليه وسلم لا أفضل من ذلك، قال عبد الله بن عمرو رضي الله

(5) أخرجه البخاري (43) كتاب الإيمان/ باب أحب الدين إلى الله أدومه، ومسلم (782) صلاة المسافرين/ باب فضيلة العمل الدائم.

(6) أخرجه البخاري (1152) كتاب التهجد/ باب ما يكره من ترك قيام الليل، ومسلم (1159) الصيام/ باب النهي عن صوم الدهر.

(7) أخرجه البخاري (1987) كتاب الصيام/ باب هل يخص شيئا من الأيام، ومسلم (782) كتاب الصيام/ باب صيام النبي في غير رمضان.

(8) شرح صحيح مسلم، للنووي (8/ 32).

عنهما: لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي من أهلي ومالي[1].

وإنما قال عبد الله ابن عمرو: لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي من أهلي ومالي؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم كان يشق عليهم ترك الفعل الذي فارقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه، فلم ير أن يرجع عنه إن كان قد ضعف عنه.

قال ابن حجر[2]: ومع عجزه وتمنيه الأخذ بالرخصة لم يترك العمل بما التزمه، بل صار يتعاطى فيه نوع تخفيف كما في رواية حصين المذكورة: «وكان عبد الله حين ضعف وكبر يصوم تلك الأيام كذلك يصل بعضها إلى بعض ثم يفطر بعدد تلك الأيام فيقوى بذلك، وكان يقول: (لأن أكون قبلت الرخصة أحب إلي مما عدل به، لكني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره)[3].

قال ابن حجر: «وفي قصة عبد الله بن عمرو هذه من الفوائد: بيان رفق رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمته وشفقته عليهم، وإرشاده إياهم إلى ما يصلحهم وحثه إياهم على ما يطيقون الدوام عليه، ونهيهم عن التعمق في العبادة لما يخشى من إفضائه إلى الملل المفضي إلى الترك أو ترك البعض، وقد ذم الله تعالى قومًا لازموا العبادة ثم فرطوا فيها»[4].

(1) أخرجه البخاري (1977) كتاب الصيام/ باب حق الاهل في الصوم، ومسلم (1159) النهي عن صوم الدهر.
(2) في فتح الباري (4/ 280).
(3) أخرجه ابن خزيمة (2105) وسنده صحيح.
وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (4/ 126)، والمفهم، للقرطبي (3/ 228).
(4) فتح الباري (4/ 287).

المطلب الرابع

في الزكاة

وتظهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في مراعاته لما فُطر عليه البشر من حب المال والتعلق بما غلا منه فأمر بأخذ الوسط حتى لا يشق عليهم فلم يحاب الأغنياء ولم يجحف بالفقراء، بل حقق العدل التام؛ إذ مبنى الزكاة على مراعاة الجانبين، وذلك يكون بأخذ الوسط؛ لما في أخذ الخيار من الإضرار بأرباب الأموال، ولما في أخذ الأرذال من الإضرار بالفقراء، فكان نظر الجانبين في أخذ الوسط[1].

ويشهد لذلك الأحاديث التالية:

1. عن معاذ بن جبل حين بعثه صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال: «إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»[2].

ومعنى كرائم الأموال: جمع كريمة وهي نفائسها التي تتعلق بها نفس مالكها ويختصها لها حيث هي جامعة للكمال الممكن في حقها من غزارة لبن وجمال صورة أو كثرة لحم أو صوف[3].

---

(5) انظر: بدائع الصنائع، الكساني (2/ 33)، حاشية ابن عابدين (2/ 286).

(1) أخرجه البخاري (1496) كتاب الزكاة/ باب أخذ الصدقة من الأغنياء، ومسلم (29) الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الدين.

(2) انظر: النهاية في غريب الحديث (4/ 167)، لسان العرب (12/ 78) مادة: (كرم)، التعريفات الفقهية، للمجددي (181).

2. عن سويد بن غفلة قال: (أتانا مصدق النبي صلى الله عليه وسلم قال: فجلست إليه فسمعته وهو يقول: إن في عهدي أن لا آخذ من راضع لبن، ولا يجمع بين متفرق، ولا يفرق بين مجتمع، وأتاه رجل بناقة كوماءً[1]، فقال: خذها، فأبى أن يأخذها)[2].

3. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن أبا بكر رضي الله عنه كتب لهم: إن هذه فرائض الصدقة التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين التي أمر الله عز وجل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه: (ولا تؤخذ في الصدقة هرمة[3] ولا ذات عوار[4] ولا تيس، إلا أن يشاء المصدق)[5].

وبعد المنع من أخذ كرائم الأموال حذر صلى الله عليه وسلم من الظلم عامة وخاصة، فقال: (واتق دعوة المظلوم) قال في عون المعبود: "وفيه تنبيه على المنع من جميع أنواع الظلم والنكتة في ذكره عقب المنع من أخذ كرائم الأموال الإشارة إلى أن أخذها ظلم"[6].

وبهذا يتبين الفرق العظيم والبون الشاسع بين شريعة الإسلام العادلة وبين القوانين الوضعية الجائرة، فنظام المال في الإسلام يقوم على أساس العدل والرحمة بالمعطي والآخذ، وأما القانون الوضعي فيقوم على استغلال أصحاب الأموال بفرض الضرائب عليهم في جميع أموالهم واقتطاع جزء كبير منها قد يتراوح ما بين 20% إلى 50% ويصل لأكثر من 77% بنسبة تصاعدية تتزايد مع الدخل أو التركة[7]، فما أرحم الله عز وجل وما أعدل شريعته وما أقسى

(3) أي الناقة الطويلة السنام، انظر: النهاية في غريب الأثر (4/ 211)، معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ص: 913) مادة: (كوم)

(4) أخرجه أبو داود (1567)، والنسائي (2444). وقال الألباني في صحيح النسائي (5/ 29): حسن صحيح.

(5) أي كبيرة، الهرم: الكبر. انظر: النهاية في غريب الحديث (5/ 261)، معجم مقاييس اللغة (1069) مادة: (هرم).

(6) العوار: العيب. النهاية في غريب الحديث (3/ 318) مادة: (عور).

(7) أخرجه البخاري (1455) كتاب الزكاة/ باب لا تؤخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عوار.

(8) عون المعبود، للآبادي (4/ 327).

(9) انظر: النظم الضريبية، عبد الكريم صادق (ص: 187)، النظم الضريبية، يونس البطريق (ص: 295).

قوانين البشر وما أظلمها به (**أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)**) [المائدة: 50].

المطلب الخامس

في الحج

وتتجلى رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في باب الحج فيما يلي:

أ. فرض الحج مرة واحدة في العمر:

لم يفرض النبي صلى الله عليه وسلم الحج كل عام حتى مع القدرة عليه؛ لأنه كان يتعامل مع التكاليف برحمته المعهودة ورفقه العظيم، فأراد مراعاة عموم المسلمين بما فيهم الضعفاء والنساء وذو الحاجة وصاحب العمل؛ ولما في الحج من سفر وعناء وحاجته للنفقة والجهد، وعامة الناس لا يتيسر لهم هذا كل عام.

فعن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا) فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ثم قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)[1].

قال الماوردي: «ولأن الحج يتعلق بقطع مسافة والتزام مؤونة وفي تكرار وجوبه مشقة ولهذا المعنى فارق سائر العبادات»[2].

(1) أخرجه مسلم (1337) كتاب الحج/ باب فرض الحج مرة في العمر.
(2) الحاوي للماوردي (4/ 6).

وبهذا تظهر رأفته بأمته ووضعه الحرج عنهم فلم يفرضه عليهم كل عام، على الرغم تكرر سؤال الرجل وإلحاحه في الجواب لم يجب صلى الله عليه وسلم بـ (نعم) لعلمه بأن الأمة إذا شددت على نفسها شدد الله عليها؛ لذا ذكرهم بعاقبة الأمم السابقة التي أكثرت سؤال أنبيائها، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الرحمة بأمته وإنقاذهم من الهلكة.

ب. مبيته في مزدلفة

من مظاهر رحمته صلى الله عليه وسلم بالحجاج نومه في المزدلفة بعد وصوله وصلاته المغرب والعشاء ففي حديث جابر بن عبد الله: (أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا، ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر وصلى الفجر)[1].

قوله: (لم يسبح بينهما) فمعناه لم يصل بينهما نافلة، والنافلة تسمى سبحة لاشتمالها على التسبيح[2].

فلم يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه أحيا هذه الليلة بالقيام، ولا شك أن هذا من رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته؛ لعلمه بما أصابهم هذا اليوم من المشقة من الوقوف بعرفة، ثم الدفع منها.

قال الماوردي: "لا يتنفل بين صلاتي الجمع، لأن التنفل بينهما يقطع الجمع ولا في إثر واحدة منهما أي لا يتنفل قبل المغرب ولا بعد العشاء، لأنه مأمور بالتأهب لمناسكه"[3].

(3) أخرجه مسلم (1218) كتاب الحج/ حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
(4) شرح النووي على صحيح مسلم (8/ 154).
(1) الحاوي (4/ 174).

ج. إذنه للضعفة بالدفع من المزدلفة ليلا

ومن دلائل رحمته صلى الله عليه وسلم بالضعفة إذنه لهم بالدفع من مزدلفة ليلا؛ ليدركوا الرمي قبل الزحام.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (نزلنا المزدلفة فاستأذنت النبي صلى الله عليه وسلم سودة أن تدفع قبل حطمة الناس[1]، وكانت امرأة بطيئة فأذن لها فدفعت قبل حطمة الناس، وأقمنا حتى أصبحنا نحن، ثم دفعنا بدفعه فلأن أكون استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استأذنت سودة أحب إلى من مفروح به)[2].

قال المهلب: «إنما قدم النبي صلى الله عليه وسلم ضعفة أهله خشية تزاحم الناس عليهم عند الدفع من المزدلفة إلى منى، فأرخص لهم أن يدفعوا قبل الفجر، وأن يرموا الجمرة قبل طلوع الشمس لخوف الازدحام عليهم»[3].

د. رميه الجمرات بحصي مثل حصي الخذف:

وحصي الخذف: هو حصي مائل إلى الصغر[4]، وذكر النووي أنه في حجم حبة الباقلاء[5]، والرمي بمثل هذا الحصي لا يؤذي أبداً لا سيما أن وجود الزحام واختلاط الناس حول الجمار مظنة إصابة بعضهم بطريق الخطأ.

(2) أي: قبل أن يزدحموا ويحطم بعضهم بعضا، النهاية في غريب الحديث (1/ 403) مادة: (حطم).
(3) أخرجه البخاري (1681) كتاب الحج/ باب من قدم ضعفة أهله بليل، ومسلم (1290) الحج/ استحباب تقديم الضعفة من النساء.
(4) شرح ابن بطال (4/ 358).
(5) انظر: معجم مقاييس اللغة (308)، لسان العرب (9/ 61)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، للفيومي (ص: 165) مادة: (حذف).
(6) شرح النووي لصحيح مسلم (8/ 156).

هـ. تيسيره على المسلمين في أداء المناسك يوم النحر

من تمام رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته ورفعه الحرج عنهم أن قال لكل من قدم أو أخر شيئًا من المناسك يوم النحر: (افعل ولا حرج)، والحكمة من هذا التيسير منه صلى الله عليه وسلم أن أعمال ذلك اليوم كثيرة قد ينساها بعض الحاج وقد يجهلها بعضهم.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم عند الجمرة وهو يسأل، فقال رجل: يا رسول الله نحرت قبل أن أرمي؟ قال: ارم ولا حرج. قال آخر: يا رسول الله حلقت قبل أن أنحر. قال: انحر ولا حرج، فما سئل عن شيء قدم ولا أخر إلا قال افعل ولا حرج»[1].

المطلب السادس

في الأضحية

حث النبي صلى الله عليه وسلم على الأضحية وندب إليها فضحى صلى الله عليه وسلم بكبشين: الأول عنه وآله، والثاني عمن لم يضح من المسلمين، رحمة بمن لم يضح من أمته في يوم العيد الأكبر، لينالهم من الأجر مثل أجر من ضحى.

فعن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ضحى اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين، فإذا صلى وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بنفسه بالمدية، ثم يقول: "اللهم إن هذا عن أمتي جميعًا ممن شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ"، ثم يؤتي بالآخر فيذبحه بنفسه ويقول: "هذا عن محمد وآل

(1) أخرجه البخاري (124) كتاب العلم/ باب السؤال والفتيا عند رمي الجمار، ومسلم (1306) الحج/ من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي.

محمد"، فيطعمهما جميعًا المساكين ويأكل هو وأهله منهما فمكثنا سنين ليس رجل من بني هاشم يضحي قد كفاه الله المؤنة برسول الله صلى الله عليه وسلم والغرم[1].

وهذا يدل على أن أمته أمواتهم وأحياءهم قد نالهم النفع والأجر بتضحيته[2]، قال الحليمي: «وهذا أبلغ ما يكون من البر والشفقة»[3].

المطلب السابع

في الجهاد

أ. تركه الخروج لجميع الغزوات

حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وامتثال سيرته فكانوا يقتدون به ويخرجون إلى الغزو في سبيل الله في العسر واليسر ولا يتخلفون عنه صلى الله عليه وسلم؛ وكان بعضهم لا يجد القدرة على الخروج في سبيل الله، فترك النبي صلى الله عليه وسلم الخروج في بعض سرياه لئلا يشق عليهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد في يده لولا أن أشق على المؤمنين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي"[4].

والمراد بالمشقة أن نفوسهم لا تطيب بالتخلف ولا يقدرون على التأهب؛ لعجزهم عن آلة السفر من مركوب وغيره وتعذر وجوده عند النبي[1] صلى الله عليه وسلم.

---

(2) أخرجه ابن ماجه (3113)، وأحمد (27190)، (45/ 168)، والبخاري مختصرا (5128)، ومسلم بمعناه (3637).

(3) انظر: الفروع لابن مفلح (2/ 243).

(4) شعب الإيمان، للبيهقي (3/ 485).

(5) أخرجه البخاري (2972) الجهاد/ الجعائل والحملان في السبيل، ومسلم واللفظ له (1876) الجهاد/ فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

ب. عدم تكليف النساء والصبيان بالجهاد

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد، قال: لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور»[2]، وفي رواية «جهادكن الحج»[3].

دل الحديث على أن النساء لا جهاد عليهن واجب، وهذا إجماع من العلماء[4]، وليس في قوله صلى الله عليه وسلم: «جهادكن الحج» دليل أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد وإنما فيه أنه الأفضل لهن، وإنما كان الحج أفضل لهن من الجهاد؛ لأنهن لسن من أهل القتال للعدو ولا قدرة لهن عليه، وليس للمرأة أفضل من الاستتار وترك المباشرة للرجال بغير قتال، فكيف في حال القتال التي هي أصعب؟ والحج يمكنهن فيه مجانبة الرجال والاستتار عنهم؛ فلذلك كان أفضل لهن من الجهاد[5].

وكذلك الصبيان لم يوجب عليهم النبي صلى الله عليه وسلم جهادًا[6] رحمة بهم بل إنه صلى الله عليه وسلم رد سبعة عشر شابًا عرضوا عليه، وهم أبناء أربع عشرة سنة، لأنهم لم يبلغوا، وعرضوا عليه وهم أبناء خمس عشرة، فأجازهم[7].

---

(1) فتح الباري (6/ 21).
(2) أخرجه البخاري (2784) الجهاد/ فضل الجهاد والسير.
(3) أخرجها البخاري (2875) الجهاد/ جهاد النساء.
(4) انظر: مراتب الإجماع، لابن حزم (ص: 119).
(5) انظر: شرح ابن بطال (5/ 75).
(6) انظ: المغني، لابن قدامه (9/ 311)، مواهب الجليل، للحطاب (3/ 350)، المجموع للنووي (9/ 197)، حاشية ابن عابدين (4/ 124).
(7) انظر: سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد، للصالحي (4/ 187).

ج. الفطر في رمضان لخوفه على صحابته شدة الإرهاق

أفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر بعد شروعه في الصوم شفقة بصحابته وخوفًا عليهم من الضعف عند اللقاء، وذلك حينما رأى أن الصوم شق عليهم وأنهم أحبوا أن يقتدوا به.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم[1] فصام الناس، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس اليه ثم شرب، فقيل له بعد ذلك: إن بعض الناس قد صام، فقال: أولئك العصاة أولئك العصاة»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة فصام حتى بلغ عسفان[3]، ثم دعا بماء فرفعه إلى يديه ليريه الناس فأفطر حتى قدم مكة وذلك في رمضان[4].

وسبب ورود هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى مكة للفتح وصام الناس قيل له: إن الصوم شق عليهم وهم ينظرون إلى فعلك، فدعا بماء فرفعه حتى ينظر الناس فيقتدوا به في الإفطار، وكان لا يأمن الضعف عن القتال عند لقاء عدوهم[5].

قال ابن عباس: «إنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم بالفطر في السفر التيسير عليكم»[1].

---

(8) جنوب عسفان بستة عشر كيلا على الجادة إلى مكة، أي على (64) كيلا من مكة على طريق المدينة. انظر: معجم البلدان (3/ 294). والمعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، لعاتق البلادي (388).

(9) أخرجه مسلم (1114) كتاب الصيام/ إذا أفطر أياما من رمضان ثم سافر.

(1) بلدة على (80) كيلا من مكة شمالا على طريق المدينة، وسميت عسفان لتعسف السيل فيها انظر: معجم البلدان لياقوت (4/ 313)، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة، لعاتق البلادي (249).

(2) أخرجه البخاري (1948) كتاب الصيام/ باب من أفطر ليراه الناس، ومسلم (1113) باب جواز الصوم والفطر في السفر.

(3) شرح الكرماني لصحيح البخاري (4/ 118)، وانظر: عمدة القاري (11/ 50).

د. منعه الضعفاء من القتال

ومن ذلك منعه عمرو بن الجموح من القتال في بدر فأخرج ابن إسحاق أن عمرو بن الجموح، كان رجلا أعرج شديد العرج فكان له بنون أربعة يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد أمثال الأسد، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له: إن الله قد عذرك، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك"، وقال لبنيه: "لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة" فخرج معه فقتل يوم أحد(2).

ومع هذه الرحمة المعهودة فإن النبي صلى الله عليه وسلم تعامل مع تعلق عمرو بن الجموح للجهاد بالرفق فأذن له في الخروج لشدة رغبته، فلما استشهد هون على أبنائه مصابهم وبشرهم بمآله حين مر عليه وهو شهيد فقال: "كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة"(3)، فاجتمع فيه صلى الله عليه وسلم الرحمة والرفق والشفقة والحكمة.

المطلب الثامن

في الكفارات

وتظهر رأفة النبي صلى الله عليه وسلم في الكفارات عمومًا وعلى سبيل المثال في كفارتي الجماع في نهار رمضان وكفارة من لطم عبده.

1. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل، فقال: يا رسول الله هلكت! قال: ما لك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم،

---

(4) أخرجه الطحاوي في معاني الآثار (2/ 67) وسنده صحيح.
(5) أخرجه ابن هشام في سيرته (2/ 90)، وأحمد (22553)، (37/ 247).
(6) أخرجه أحمد (22553)، (37/ 247) وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (5/ 221).

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكينًا؟، قال: لا، قال: فمكث النبي صلى الله عليه وسلم فبينا نحن على ذلك أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيها تمر والعرق المكتل، قال: أين السائل؟ فقال: أنا، قال: خذها فتصدق به، فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله! فو الله ما بين لابتيها يريد الحرتين أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال: أطعمه أهلك"[1].

وسبب ضحك صلى الله عليه وسلم كان من تباين حال الرجل حيث جاء خائفًا على نفسه راغبًا في فدائها مهما أمكنه، فلما وجد الرخصة طمع في أن يأكل ما أعطيه من الكفارة[2]، ولا شك أن رفق النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الرجل وإحسانه إليه مظهر فريد من مظاهر رحمته بأمته؛ إذ جاءه الرجل غارمًا فرجع من عنده غانمًا.

2. عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه"[3].

في هذا الحديث الرفق بالمماليك، وحسن صحبتهم وكف الأذى عنهم، وأجمع المسلمون على أن عتقه بهذا ليس واجبًا، وإنما هو مندوب رجاء كفارة ذنبه، وإزالة إثم ظلمه[4].

وكما مر بنا في رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في الزكاة ومراعاته جانب الفقراء والأغنياء، تظهر هنا رحمته أيضًا ومراعاته للعبيد وتطييب أنفسهم كما لم يغفل الجانب الآخر فراعى حاجة السيد وتبرئة ذمته، ففي حديث معاوية بن سويد: "كنا بني مقرن على عهد رسول الله

(1) أخرجه البخاري (1936) كتاب الصيام/ إذا جامع في رمضان، ومسلم (1111) الصيام/ تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان.
(2) انظر: فتح الباري (4/ 218).
(3) أخرجه مسلم (1657) كتاب الأيمان/ صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده.
(4) شرح النووي لصحيح مسلم (11/ 105) وانظر: بداية المجتهد، لابن رشد (4/ 153)

صلى الله عليه وسلم ليس لنا إلا خادم واحدة فلطمها أحدنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أعتقوها قالوا: ليس لهم خادم غيرها، قال: فليستخدموها فإذا استغنوا عنها فليخلوا سبيلها"[1].

المطلب التاسع

في الحدود

برغم أن الحدود في الشرع عقوبات مغلظة إلا أن للرحمة الإلهية والشفقة النبوية فيها حضورهما المقتضي لدفعها ما أمكن ذلك أو الرفق بمن دعت الرحمة إلى الرفق به ممن تحتم إقامة الحد عليه، وهذا ما سيتبين من خلال أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التالية:

1. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ادفعوا الحدود ما وجدتم له مدفعًا"[2].

2. في حديث عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة"[3].

ودل هذان الحديثان على وجوب السؤال عما يدرأ الحدود والعقوبات على المسلمين والملتزمين للأحكام وقوله: (ما استطعتم) أي مدة استطاعتكم ذلك بأن وجدتم إلى الترك سبيلاً شرعياً فلا تحدوا أحداً منهم إلا بأمر متيقين لا يتطرق إليه التأويل[1].

---

(5) أخرجه مسلم (1658) الأيمان/ باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده.

(6) أخرجه ابن ماجه (2535)، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (2545) وفي الإرواء (2356).

(1) أخرجه الترمذي (1344)، والحاكم في مستدركه (8286)، والبيهقي في سننه (8/ 238). وصححه الحاكم وخالفه الذهبي، وضعفه الألباني في السلسلة (2179). لكنه يعتضد هو والحديث الذي قبله بما صححه ابن حجر موقوفا عن عمر وابن مسعود، انظر: التلخيص الحبير (4/ 160)، وقال الشيخ ابن باز في ((فتاويه)) (25م 263): ((الحديث له طرق فيها ضعف لكن مجموعها يشد بعضه بعضًا، ويكون من باب الحسن لغيره)).

ولا يخفى ما في هذا التوجيه من تغليب لجانب الرحمة والرأفة.

وفي الحديث الثاني حث للإمام على معاملة الناس بالرأفة والرحمة، وأن يرجح سبيل العفو ما أمكن، والكلام في غير خبيث شرير متظاهر بالإيذاء والفساد[2].

3. عن سعيد بن سعد بن عبادة قال: كان بين أبياتنا إنسان مخدج[3] ضعيف، لم يرع أهل الدار إلا وهو على أمة من إماء الدار يخبث بها، وكان مسلماً، فرفع شأنه سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اضربوه حده» قالوا: يا رسول الله، إنه أضعف من ذلك، إن ضربناه مئة قتلناه، قال: «فخذوا له عثكالا[4] فيه مئة شمراخ[5]، فأضربوه به ضربة واحدة، وخلوا سبيله»[6].

وهذا الحديث يبين عظم رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته ومراعاته لأحوال المذنبين منهم، مع حرصه على تطهيرهم.

قال البغوي: "والعمل على هذا عند بعض أهل العلم، ذهبوا إلى أن المريض الذي به مرض لا يرجى زواله إذا وجب عليه حد الجلد بأن زنى وهو بكر، يضرب بعثكال عليه مئة شمراخ ضربة واحدة، بحيث تمسه الشماريخ كلها، فيسقط الحد عنه"[7].

والذي ذهب إلى هذا من أهل العلم الشافعي وأحمد خلافًا لمالك[8].

---

(2) انظر: فيض القدير (1/ 293).
(3) انظر: فيض القدير، للمناوي (1/ 293).
(4) مخدّج: ناقص الخلقة. غريب الحديث لابن قتيبة (1/ 406).
(5) العثكال: العذق من أعذاق النخل الذي يكون فيه الرطب. النهاية في غريب الحديث (3/ 183). مادة: (عثكل).
(6) الشمراخ: كل غصن من أغصان العثكال يسمى شمراخ وهو الذي عليه البسر. انظر: النهاية (2/ 500)، لسان العرب (7/ 192) مادة: (شمرخ).
(7) أخرجه أحمد (21935)، (36/ 263)، وأبو داود (4472)، وابن ماجه (2574). وسنده صحيح.
(8) شرح السنة، للبغوي (10/ 303).
(9) انظر: المغني (9/ 48)، بداية المجتهد (4/ 221)، روضة الطالبين، للنووي (10/ 100)، حاشية ابن عابدين (4/ 16).

المبحث الثالث

رحمته صلى اللّه عليه وسلم بأمته بسؤاله ربه عز وجل التخفيف عنهم

وسأذكر في هذا المبحث أمثلة على طلب النبي صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل التخفيف في التكاليف، ومنها:

المطلب الأول

طلب التخفيف في قراءة القرآن

عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا"[1].

وطلب النبي صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل القراءة على الأحرف السبعة رحمة بأمته؛ لتسهل عليهم القراءة والحفظ، ومراعاة لحال العرب واختلاف ألسنتهم.

قال الطبري في شرح حديث الأحرف السبعة: "ومعنى ذلك كله، الخبر منه صلى الله عليه وسلم عما خصه الله تعالى به وأمته من الفضيلة والكرامة التي لم يؤتها أحدًا في تنزيل، وذلك

(1) أخرجه مسلم (821) صلاة المسافرين/ بيان القرآن على سبعة أحرف.

أن كل كتاب تقدم كتابنا نزوله على نبي من أنبياء الله، صلوات الله عليهم، فإنما نزل بلسان واحد، متى حول إلى غير اللسان الذي نزل به كان ذلك له ترجمة وتفسيرًا لا تلاوة له على ما أنزله الله... ومنها ظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه العزيز وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز.."[1].

وقال ابن الجزري: «وأما سبب وروده على سبعة أحرف؛ فللتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفا لها وتوسعة ورحمة، وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق حيث أتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال صلى الله عليه وسلم: "أسأل الله معافاته ومعونته فإن أمتي لا تطيق ذلك ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف"[2].

المطلب الثاني

طلب التخفيف في الصلاة

عن أنس بن مالك عن أبي ذر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ففرض الله عز وجل على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فأرجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته فقال: هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى

(2) تفسير الطبري (1/ 70).
(3) النشر في القراءات العشر (1/ 22).

فقال: راجع ربك فقلت: استحييت من ربي"[1]، وفي رواية: «إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنة عشرًا»[2].

قوله: (فإن أمتك لا تطيق) كأنه علم ذلك من جهة أنهم أضعف من أمته جسدًا وأقل منهم قوة وأمته قد كلفت بأقل من هذا فعجزت، والعادة أن ما يعجز عنه القوي يعجز عنه الضعيف[3].

وتظهر هنا شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته ورحمته بهم، فها هو صلى الله عليه وسلم يراجع ربه بعد نصح موسى عليه السلام عندما فرضت الصلاة خمسين صلاة فقال له: (فأرجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق) فراجع المرة تلو المرة حتى أصبحت خمس صلوات في الفعل وخمسين في الأجر وهذا فضل من الله ورحمة.

ويتبين بهذه المراجعة في تخفيف عدد الصلوات أن الشارع لا يقصد في تكاليفه المشقة على العباد وإلحاق العنت بهم، وفي هذا بيان ما تفضل الله على هذه الأمة ورحمته بها وحرص نبينا صلى الله عليه وسلم على تحصيل هذه الرحمة.

(1) أخرجه البخاري (349) كتاب الصلاة/ كيف فرضت الصلاة، ومسلم (163) كتاب الإيمان/ الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) أخرجها البخاري (3887) كتاب مناقب الأنصار/ باب المعراج.

(3) حاشية السندي على ابن ماجه (3/ 189).

المطلب الثالث

طلب تخفيف العقوبة عنهم

عن عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سألت ربي ثلاثًا فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها"[1].

السنة: الجدب والقحط. والبأس: الشجاعة والشدة في الحرب. والمراد ألا يقتتل المسلمون، وإنما يقع قتالهم على الدنيا، لأنهم قد اجتمعوا في الدين[2].

فما أعظم رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته ورأفته بهم حتى من يستحق العقوبة منهم، فحرى بالمسلم أن يتأمل طويلًا في هذا الحديث ليدرك عظم رحمة النبي صلى الله عليه وسلم ولطفه بأمته.

(4) أخرجه مسلم (2890) كتاب الفتن وأشراط الساعة/ هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.
(1) انظر: شرح مشكل الصحيحين لابن الجوزي (1/ 249)، تحفة الأحوذي (6/ 332).

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة..

وبعد،، فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها في ختام هذا البحث:

- اتصاف النبي صلى الله عليه وسلم بخلق الرحمة الذي فطر عليه كان من أقوى وسائل التأثير في الدعوة إلى الله عز وجل.
- لا يمكن الإحاطة بموضوع رحمة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن حياته كلها من بعثته حتى وفاته رحمة للأمة.
- اختص الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بأحسن الأخلاق من إيثار ورفق وحلم وأناة، فإنه صلى الله عليه وسلم إنما بعث لإتمام صالح الأخلاق، وجميع هذه الأخلاق التي اتصف بها نابعة من خلق الرحمة.
- من آثار رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته التخفيف في التكاليف الشرعية ورفع الحرج عنهم.
- بلغ من رحمة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يخشى على أمته العقوبة إن هم قصروا في ما كلفوا به.
- بلغ من شفقة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يمنع أصحابه من الإكثار في المسألة لئلا يشدد الله عليهم.
- ما من باب من أبواب الفقه في العبادات أو المعاملات أو الحدود إلا وقد ظهرت فيه رحمة النبي صلى الله عليه وسلم وحرصه على تخفيف التكاليف عن أمته.

- تخفيف التكاليف عن الأمة إما أن يكون ابتداء من النبي صلى الله عليه وسلم، وإما أن يكون بطلبه صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل.

- من أمثلة التكاليف التي وضعت عن هذه الأمة رحمةً بها ورفعًا للحرج عنها- على سبيل المثال لا الحصر-: السواك، والتخفيف في وقت صلاة العشاء، وامتناعه صلى الله عليه وسلم عن صلاة التراويح خشية أن تفرض على أمته، وتخفيفه على الناس في الصلاة، والنهي عن الوصال، والأمر بتعجيل الفطر وتأخير السحور مع التأكيد على أهميته، والعفو عن أكل الصائم وشربه ناسيًا، ونهيه صلى الله عليه وسلم عن صوم الدهر.

- تظهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في باب الزكاة في مراعاته لطبقتي الفقراء والأغنياء بأخذ الوسط من المال.

- فرض الحج مرة في العمر من مظاهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته، وكذلك تيسيره عليهم في سائر مناسك الحج.

- رحم النبي صلى الله عليه وسلم من لا يجد سعة من المال فضحى عنه، وهذا أبلغ ما يكون من الرأفة والشفقة.

- ترك النبي صلى الله عليه وسلم الخروج إلى جميع الغزوات كان رأفة منه بأصحابه، وكذلك عدم إيجابه الجهاد على النساء والأطفال والضعفاء.

- دلت سنته صلى الله عليه وسلم على أن من مقاصد الحدود والكفارات في الشرع التطهير والتزكية وهذا غاية الرحمة.

- طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل التخفيف في قراءة القرآن على سبعة أحرف؛ مراعاة لحال العرب واختلاف ألسنتهم، ولتسهل عليهم القراءة والحفظ مظهر كريم من مظاهر رحمته بأمته، وكذلك سؤاله ربه عز وجل التخفيف في الصلاة حتى خففت من خمسين صلاة إلى خمس صلوات، وسؤاله ربه أيضًا أن يخفف على أمته العقوبة.

التوصيات:

أوصي في نهاية البحث بالتوصيات التالية:

- الحث على مضاعفة الجهد في العناية بالسنة المشرفة وبسيرة النبي صلى الله عليه وسلم جمعًا وتحقيقًا وتفقهًا.

- إطلاق قناة فضائية خاصة بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله وأخلاقه، وترجمة برامجها إلى اللغات الأخرى، وتكون إحدى الوسائل الدعوية للتعريف بخاتم الأنبياء والمرسلين.

- الدعوة إلى التراحم بين المسلمين ونبذ الفرقة والخلاف فيما بينهم، والتأكيد على أهمية التخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في معاملاتنا كلها.

- الدفاع عن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم والرد على الشبهات المثارة حول سيرته.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

1. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني، ط 2- 1405 هـ المكتب الإسلامي- بيروت.

2. إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، ط 1، 1419 هـ، دار الوفاء- مصر.

3. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد، دار الحديث- القاهرة.

4. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني الحنفي، ط: 2، 1406 هـ، دار الكتب العلمية.

5. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، دار الكتب العلمية- بيروت.

6. التحرير والتنوير، لابن عاشور، تاريخ الطبعة: 1984 هـ، الدار التونسية للنشر- تونس.

7. تهذيب اللغة، للأزهري، ت: محمد عوض، ط: 2001، 1 م، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

8. التعريفات الفقهية، لمحمد عميم الإحسان المجددي، ط 1، 1424 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

9. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر، ط 1: 1419 هـ، دار الكتب العلمية.

10. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، ط 1، 1429 هـ، دار النوادر- سوريا، لبنان.

11. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، ط 3، 1417 هـ، مؤسسة الرسالة.

12. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ت: أحمد البردوني، ط: 2، 1384 هـ، دار الكتب المصرية- القاهرة.

13. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري ت: أحمد شاكر، ط: 1، 1421، مؤسسة الرسالة.

14. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، للترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية- بيروت.

15. الجامع الصحيح، لأبي عبد الله البخاري، ط 1، 1416 هـ، دار السلام.

16. الجامع لشعب الإيمان، ت: مختار الندوي، ط 1 1416 هـ، الدار السلفية- الهند.

17. حاشية السندي على ابن ماجه، دار الجيل- بيروت.

18. حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار) الطبعة: الثانية، 1412 هـ، دار الفكر- بيروت.

19. حاشية مسند أحمد، للسندي، ت: نور الدين طالب، ط 1، 1428 هـ، دار النوادر- سوريا، لبنان.

20. الحاوي الكبير، للماوردي، ت: محمد عوض، ط: 1، 1419 هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.

21. روضة الطالبين وعمدة المفتين، للنووي، ت: زهير الشاويش، ط:1412 ،3هـ، المكتب الإسلامي.

22. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، للألباني، 1415 هـ، مكتبة المعارف- الرياض.

23. سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ت: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية- بيروت.

24. سنن ابن ماجه، لابن ماجه، تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث.

25. سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني، تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

26. سنن النسائي (المجتبي)، تحقيق وترقيم: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة- بيروت.

27. السنن الكبرى للبيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، ط1414,1هـ دار الكتب العلمية- بيروت.

28. السيرة النبوية لابن هشام، ط1422,1هـ، دار الحزم- بيروت.

29. شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ت: أبي تميم ياسر إبراهيم، ط 1، 1420 هـ، مكتبة الرشد.

30. شرح صحيح البخاري، للكرماني، دار الفكر- بيروت.

31. شرح السنة للبغوي، ط 2، 1403 هـ، المكتب الإسلامي- دمشق، بيروت.

32. شرح النووي على صحيح مسلم، ط 2، 1392 هـ، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

33. شرح معاني الآثر، للطحاوي، ت: محمد أزهري ومحمد سيد، ط1414,1هـ، عالم الكتب- بيروت.

34. شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق: محمد السعيد، ط1410، 1هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.

35. صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، ط 5، مكتبة المعارف- الرياض.

36. صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، ط 2، ت: 1406 هـ، المكتب الإسلامي- بيروت، دمشق.

37. صحيح ابن خزيمة، ت: محمد الأعظمي، ط 1، دار الثقة- مكة المكرمة.

38. صحيح مسلم مع شرح النووي، ترقيم: محمد فؤاد، ط 1، 1415 هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.

39. صحيح وضعيف الترمذي، للألباني.

40. صحيح وضعيف ابن ماجه، للألباني.

41. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، دار إحياء التراث- بيروت.

42. عون المعبود شرح سنن أبي داود، للآبادي ط1410، 1هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.

43. غريب الحديث، لابن قتيبة، ت: د. عبد الله الجبوري، ط 1، 1397 هـ، مطبعة العاني- بغداد.

44. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، حقق الأجزاء الثلاثة منه: الشيخ عبد العزيز بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط 3، 1421 هـ، دار الفيحاء- دمشق، الناشر: دار السلام- الرياض.

45. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي على كتاب الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، للحافظ السيوطي، دار المعرفة- بيروت.

46. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، ت: علي حسين البواب، دار الوطن- الرياض.

47. لسان العرب، لابن منظور، ط 3، 1413 هـ، إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي- بيروت.

48. مجموع فتاوي العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، أشرف على طبعه: محمد بن سعد الشويعر.

49. المدونة للإمام مالك، ط: 1، 1425 هـ، دار الكتب العلمية.

50. مسند الإمام أحمد، أشرف على تحقيقه: عبد الله التركي، ط 1، 1417 هـ، مؤسسة الرسالة– بيروت.

51. المستدرك على الصحيحين، للحاكم، ت: مصطفى عطا، ط 1411، 1هـ دار الكتب العلمية– بيروت.

52. مشكل الآثار، للطحاوي، ت: شعيب الأرناؤوط، ط 1415 ،1هـ ، مؤسسة الرسالة– بيروت.

53. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف– مصر.

54. المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين– القاهرة.

55. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، لعاتق البلادي ط1402 ،1هـ، دار مكة– مكة المكرمة.

56. المغني، لابن قدامة، مكتبة القاهرة– مصر.

57. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، ط 1، 1417 هـ، دار ابن كثير– دمشق.

58. مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، ط 1، 1415 هـ، دار الفكر– بيروت.

59. مواهب الجليل للحطاب، ط 3، 1412 هـ، دار الفكر.

60. النظم الضريبية، عبد الكريم صادق، الدار الجامعية- بيروت.

61. النظم الضريبية، يونس البطريق، 1978 م الدار الجامعية- بيروت.

62. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي، ط: 2، 1399 هـ، دار الفكر.

63. النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ت: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.